الاختلاف العمراني للمدن العربية دراسة مقارنة بين مدينتي الناصرية والظاهرية

م.م نبراس علي عبدالحسين الياسري

مديرية تربية ذي قار

Nbris20@gmail.com

الملخص

تعد الخصائص المورفولوجية احد الاسس المهمة عند دراسة المدن فمن خلالها يمكن التعرف على بنية المدينة وطرازها العمراني والتخطيطي وبالتالي التوصل الى فكرة عامة عن مظهر المدينة ومراحل تطورها ومقارنتها مع مدن اخرى لمعرفة التباين فيما بينهما ، لذا سعى البحث الى دراسة التباين بين مدينتي الناصرية والظاهرية واللتان تختلفان فيما بينهما من حيث الظروف التي نشأت فيها وبعدها الزمني الامر الذي انعكس على مورفولوجية كلا منها ، اذ اتضح من خلال البحث ان مدينة الناصرية نشأت في بيئة حضرية حديثة نسبيا لكنها تعرضت الى ظروف اقتصادية وبيئية وسياسية اربكت تخطيطها مقارنة مع مدينة الظاهرية التي تحولت تدريجيا من قرية صغيرة ذات بنية مورفولوجية بسيطة ذات طابع زراعي رعوي الى مدينة ذات تخطيط محدود بقيود بيئية وسياسية، وهذا يكشف الحاجة الى تخطيط حضري مستدام عند نشأت المدن يأخذ بنظر الاعتبار التغيرات والتطورات الزمنية لكل مدينة مع الحفاظ على طابعها المحلي.

الكلمات المفتاحية: (الاختلاف العمراني، المدن العربية).

Urban Diversity in Arab Cities: A Comparative Study of Nasiriyah and Dhahiriya

Nibras Ali Abdul-Hussein Al-Yasiri

Dhi Qar Education Directorate

Nbris20@gmail.com

Abstract

Morphological characteristics are an important foundation for studying cities. Through them, we can identify a city's structure, its urban and planning style, and thus arrive at a general idea of the city's appearance and stages of development. We can also compare it with other cities to understand the differences between them.

Therefore, the research sought to study the contrast between the cities of Nasiriyah and Dhahiriya, which differ from each other in terms of the circumstances in which they were established and their time period, which was reflected in the morphology of each of them. It became clear through the research that the city of Nasiriyah was established in a relatively modern urban environment, but it was exposed to economic, environmental and political conditions that confused its planning. Compared to the city of Dhahiriya, which gradually transformed from a small village with a simple morphological structure of an agricultural and pastoral nature into a city with limited planning and environmental and political restrictions, this reveals the need for sustainable urban planning when cities are established, taking into account the changes and temporal developments of each city while preserving its local character.

Keywords: (urban difference, Arab cities).

المقدمة

لم تنشا المدينة العربية بشكل عفوي بل جاء نتيجة مجموعة متداخلة ومتباينة من المؤثرات ترتبط بعوامل الموقع والموضع مما يعكس الطبيعة العضوية للمدينة [١]، اذ ان مدينة الناصرية ما كان بنائها مسألة عمرانية بحتة وما كان انشاؤها وليد الصدفة وانما هناك اسباب ودوافع ومقدمات وظروف لكل منها جذور تاريخية متعددة في شعب التاريخ اقتضت بناء مدينة الناصرية في حين ان مدينة الظاهرية نشأت كنواة صغيرة ذات طابع رعوي بسيط ومالبثت ان تطورت تدريجيا بفعل عوامل الزمن والبيئة وموقعها الجغرافي لتصبح فيما بعد مركزا حضريا .

المحور الاول : مورفولوجية مدينة الناصرية ونشاتها

يتمثل موقع مدينة الناصرية وهو مركز محافظة ذي قار في الجزء الجنوبي الغربي من العراق، اذ شهد موقع مدينة الناصرية المحاولة الاولى للحضرية من خلال ظهور مستقرات ريفية بسيطة في منطقة السهول المموجة العراقية الا ان بواكير الحضرية كانت في الاجزاء الجنوبية من العراق لاسيما على نهر الفرات ومجاوراته وعلى امتداد مجرى وذنائب نهر الغراف الموازية لمجراه [٢]، أما موقعها بالنسبة لدوائر العرض وخطوط الطول فهي تقع بين دائرتي عرض (٣٠,٢٨-٣١,٥٠) شمالا وقوسي الطول (٤٥,٣٣-٤٧,٤٠) شرقاً ، ويظهر موقع نواة مدينة الناصرية في الجانب الأيمن شرق نهر الفرات في موضع منخفض دون مستوى النهر بثلاثة أمتار، أما الجانب الأيسر من المدينة فأن ارتفاعه يتراوح ما بين(٣-٦ م) فوق مستوى النهر في منطقة السهل الرسوبي الذي أسهم في نشأتها وتطورها [٣]. خريطة (١) .

إنشاء مدينة الناصرية بأمر الحاكم العثماني مدحت باشا ولم يكن إنشاء المدينة إلا لتلبية رغبات فردية وجماعية وكان الهدف الأساسي من تأسيس مدينة الناصرية السيطرة على القبائل [٤]. وخططت المدينة على يد المهندس البلجيكي جولسن ثلي ، فتم أنشاء بناية السراي وجامع فالح باشا الكبير ثم تبع ذلك زحف الاستعمالات السكنية عند إنشاء المدينة عام ١٨٨٩.[٥]

خريطة (١) مدينة الناصرية

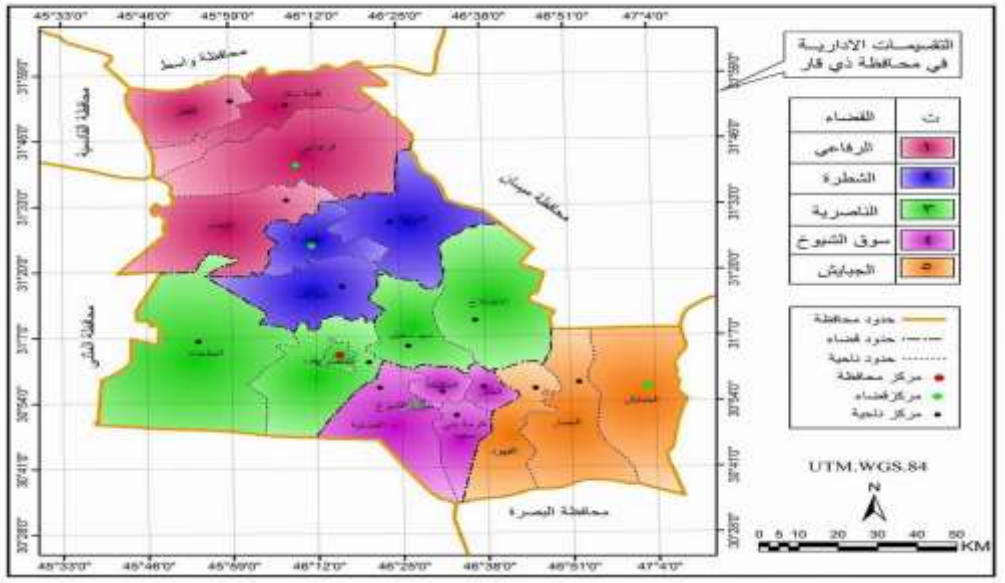

مرت مدينة الناصرية خلال عمرها الزمني القصير بخمسة مراحل مورفولوجية هي :

١-المرحلة المورفولوجية الاولى

نشأت مدينة الناصرية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر واستمرت حتى فترة الثلاثينيات مدينة صغيرة تعتمد على الجانب الزراعي، اذ لم تشهد اهتماما من الحكومات ولم يسع احد الى توطين الصناعات فيها فبقيت ذات اقتصاد متواضع، وبقى نموها مقتصرا على نموها الطبيعي ، خلال بداية هذه المرحلة لم تظهر سوى اربعة محلات سكنية وهي الشرقية ، الجامع ، الصابئة ، السويج وهذه المحلات السكنية جميعها متركزة في الجانب الايسر من النهر [٦].

اما في الجانب الايمن فقد تم انشاء معسكر (ثكنة عسكرية) للجيش ومضخة للنفط واخرى للماء الصافي كما تم ربط المدينة بخط سكة حديد فرعي مع سكة حديد بغداد – البصرة . وكان يحيط بالمدينة سد ترابي من ثلاثة اتجاهات الشمالية والشرقية

والجنوبية اما جهاتها الغربية فتمتد مع مجرى نهر الفرات ويقطع السد الترابي اربعة ابواب هي باب القلعة ،باب السديناوية ، باب الشطرة ، باب الزيدانية .

اما شكل المدينة فكان مستطيلا غير منتظم بسبب الامتداد المتزايد في الجانب الشرقي الذي هو اقرب الى النواة المركزية ، وتقطع المدينة مجموعة صغيرة من الشوارع الشبكية التي كانت متماشية مع خطة المدينة الاصلية وهي الخطة الشبكية حيث تقطع المحلات السكنية شوارع متعامدة منتظمة ذات وحدات سكنية متصلة ومتلاصقة ويصل معدل مساحة الوحدة السكنية بين (٧٥-١٢٥م^{٢}) باستثناء بعض الوحدات السكنية ذات مساحة(٣٠٠م^{٢}) في محلة السراي اما مواد البناء المستخدمة في انشائها فهي متوفرة محليا مثل الطابوق والطين للجدران السميكة ، وتكون الجدران صماء عدا فتحات صغيرة في اعلى الجدار (هوائيات) [٧].

المرحلة المورفولوجية الثانية :

بدات بوادر النمو والتوسع تظهر على المدينة ، اذ ادى نموها الى ازالة السدة الترابية القديمة وأنشاء سدة ترابية جديدة بقطر اوسع ، وأخذت المدينة تتوسع باتجاه شمالي -جنوبي بين مركز المدينة وبستان زامل ، اذ شهد عام ١٩٥١ تشيد عدة مبان حكومية عامة مثل دار الحكومة (السراي) والمستشفى الملكي كما تم أنشاء جسر حديدي (جسر النصر) الى شمال من الجسر الخشبي ، وفي عام ١٩٥٦ صممت السلطات المحلية على جانبي النهر توسعا جديدا حيث تطورت المدينة نهاية تلك المرحلة وبدا التحول لاستثمار الجانب الايمن فظهر حي المعلمين وشارع بغداد ولقد اتبع في تخطيط هذين الحيين خطة جديدة مغايرة لخطة المدينة إذ أتبع في تخطيطهما الخطة الشعاعية بمد شوارع شعاعية ، واختلف تصميم الوحدات السكنية من ناحية طراز العمارة وتطوير مواد البناء وقد اختفت الساحة الوسطية (الحوش)

لتحل محلها بيوتا من النمط الشرقي المحور التي لها حدائقها الخاصة ، كما اصبحت مساحة الوحدة السكنية أكبر مما هو عليه في المرحلة الاولى وبلغت بين (١٢٠- ٣٠٠ م٢) للوحدة السكنية ، واصبحت تتألف من طابقين يتجاوز الطابق الثاني الى فضاء الرصيف تسنده جسور افقية وقد ساد استعمال الطابوق والحديد والجص .

المرحلة المورفولوجية الثالثة :

بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وضعت الدولة عدة برامج تنموية تسعى الى انشاء مشاريع اعمارية وبنى تحتية كان من ضمنها انشاء جسر النصر الحديدي بعد عمليات التلكؤ التي حصلت فيه والذي أخذت بواسطته تتجه الأنظار إلى الجانب الثاني من النهر (الجانب الأيمن) .[٨]

أما تصميم الوحدات السكنية في هذه المرحلة فقد أخذت الساحة الوسطية (الحوش . الباحة) بالإختفاء ،و قد أستبدل عنها بما يسمى (الهول) . وأخذت تصاميم الأبواب و الشبابيك تختلف من حيث تكوينها ومن حيث إرتفاعها أو موضعها . فقد أخذت العوامل الإجتماعية تتلاشى تدريجياً . حيث كان للتصاميم الحديثة مظهراً لسكان المدينة والذي يجذب الإنتباه أكثر من مظاهر وتصاميم البيوت القديمة . أما خطة المدينة في هذه المرحلة فقد جمعت ما بين خطة المدينة القديمة للمدينة . الخطة الشبكية . وخطة جديدة هي الخطة الشعاعية ، فبالنسبة للأحياء التي ظهرت في هذه المرحلة فقد أتبع في تخطيطها نوعان من التخطيط هما الخطة الشبكية والخطة الشعاعية .[٩]

المرحلة المورفولوجية الرابعة :

حدث في هذه المرحلة تطور كبير تمثل بالتوجه نحو الامتداد الافقي مع امتداد محاور الطرق الرئيسة التي تربط المدينة باطارها الاقليمي فضلا عن ظهور نمط البناء العمودي ،

كما شهدت تطور المدينة اقتصاديا عند أنشاء مجموعة من الصناعات الكبرى مثل محطة كهرباء الناصرية الكهروحرارية ومعمل الالمنيوم والقابلوات ومعمل الصناعات الصوفية . هذه المؤسسات الصناعية ساعدت على توفير فرصا للعمل زادت من تيار الهجرة للمدينة فضلا عن القيام بانشاء مجموعة من المؤسسات كخدمات ووحدات سكنية تركز معظمها بالجانب الايمن للمدينة الامر الذي ادى الى زيادة سكان المدينة بفعل الزيادة الطبيعية فضلا عن عامل الهجرة من خلال الوافدين اليها من مدينة البصرة بسبب الحرب العراقية – الايرانية اذ نزح الاف المواطنين من مدينة البصرة الى المدن القريبة (ناصرية ، كوت ، سماوة) ليصل عدد سكان المدينة نهاية هذه المرحلة الى (٢٠٣٤٥٨) نسمة حسب احصاء عام ١٩٨٧ .

في هذه المرحلة ظهرت العديد من الاحياء الجديدة وتم استكمال البناء في الاحياء القديمة فكانت خطة المدينة في هذه المرحلة ما بين الخطة الشبكية تقطعها شوارع غير منتظمة في حي الشموخ والنظام الشعاعي المنطبع على الشبكي في حي العمال هذا في الجانب الايمن ، اما الجانب الايسر فالحي الصناعي طبقت فيه الخطة الشبكية من خلال تقسيم بلوكات رباعية منتظمة تقطعها شوارع طولية . يمتاز السكن في هذه المرحلة بان اغلبية الوحدات السكنية تتالف من طابقين اما الغرف فهي اكثر عددا واوسع مساحة وذات نوافذ كبيرة ، ويحيط بالوحدة السكنية حديقة كبيرة في الجزء الامامي واخرى صغيرة في الجزء الخلفي فضلا عن احتوائها على مراب للسيارة لذلك اتصف مدخل هذه الوحدات بالاتساع وهذا لم يكن موجودا في الوحدات السكنية للمراحل الثلاث السابقة ، اما مواد البناء المستخدمة فيها فهي الطابوق والاسمنت والجص .[١٠]

المرحلة المورفولوجية الخامسة :

شهدت هذه المرحلة العديد من التطورات في مدينة الناصرية ، فعلى الرغم من انتهاء الحرب العراقية – الايرانية الا ان نمو المدينة كان بطيئا جدا ان لم نقل معدومة ويعود سبب ذلك الى عدد من المبررات هي:-

١-الحصار الذي فرض على العراق والذي اعقبته عمليات تدمير المؤسسات الصناعية الكبرى وخفض قوى العمل .

٢-انحسار المستوى المعاشي للسكان لظروف الحصار .

٣-هجرة كثير من العاملين في المدينة لاسيما في المنشئات الصناعية الى مراكز عمل اخرى في مدن عراقية أخرى .

٤-ضعف تيار الهجرة لان الحرب جعلت المدن غير امنة .

اتصفت الوحدات السكنية خلال هذه المرحلة بالتباين من حيث التكوين والحجم وهو إنعكاس لنوعية الحياة التي يعيش فيها الإنسان و مستواه المعاشي . وقد دخل على الوحدة السكنية نمط الفضاءات المرتفعة و الباب الخشبي الطويل ذو الإرتفاع الذي يصل أحياناً إلى (٥) أمتار، فضلاً عن إستخدام مواد السيراميك وحجر الحلان و المرمر والألمنيوم و غيرها ، و نجد إن العامل الإجتماعي والعادات والتقاليد الأصلية في نمط بناء الوحدات السكنية التي سادت في مراحل النمو السابقة قد تلاشت وحلت محلها أنماط هجينة أكثر ميلاً بطراز وحجم المنازل الغربية [١١]. ومن الظواهر التي أدت إلى تباين مواد بناء المساكن في هذه المرحلة ، إنتشار ظاهرة السكن العشوائي ، وهي المساكن التي تنشأ بشكل غير مخطط عمرانياً ومحرومة من الخدمات والمرافق الأساسية ، وهنالك من يرى بأن السكن العشوائي هو إقامة الوحدات السكنية في أرض مغتصبة تعود ملكيتها للأفراد أو الدولة .[١٢]

المحور الثاني : مورفولوجية مدينة الظاهرية ونشأتها :

الظاهرية لغويا مستمدة من جذر (ظهر) وتعني الارتفاع، وهو يطابق المعنى اللغوي المشتق من اللغة الكنعانية واللغة الرامية، والذي يعني الارض المرتفعة ، الرأي الثاني :يقول أن الظاهرية هي جوشن، وهو اسم كنعاني يحتمل أنه يعني الكلمة (الترابية) اما الرأي الثالث : فينسبها إلى القائد المسلم الظاهر بيبرس كونه عسكر فيها عندما استرعى انتباهه موقعها المميز وهو في طريقه لمحاربة التتار في معركة عين جالوت سنة 658هـ / سنة 1260م .ومنذ ذلك التاريخ سميت بهذا الاسم تخليدا لذكراه، وهو غالبا ما يكون الرأي الرجح [١٣]. اما الرأي الرابع :يقول ان الظاهرية مستمدة من مسمى دوهر وهي كلمة كنعانية تعني البريد حيث لعبت حلقة وصل بين مصر والشام .

الظاهرية مدينة كنعانية عربية في حضارتها وأصالتها وتاريخها يعود إلى5500 قبل الميلاد، والاثار التي وجدت تشير الى نزول العرب الكنعانيين فيها حيث عمروها، وبنوا، وحفروا فيها الكهوف الموجودة تحت البلدة القديمة .كما بنى الكنعانيون فيها قلعة اسمها (جوشن) أو(حواشن) وقد تعمقت شهرتها بنزول سيدنا إبراهيم الخليل في مدينة خليل الرحمن في حوالي سنة 1805 قبل الميلاد، ومروره بوادي الخليل وهو من أراضي الظاهرية الجنوبية، والذي لا يزال يذكره أهالي المدينة والمؤرخون بهذا الاسم حتى يومنا الحاضر تخليدا لذكرى سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وكانت حلقة وصل بين غزة والبتراء .وفي العهد الروماني تمكن هيرودس من ضمها إلى ولايته الرومانية في فلسطين وأقام فيها الحصون والقلع، ولا تزال الاثار الرومانية ماثلة .[١٤]

بعد انتشار السلم كانت الظاهرية جزءا من الدولة العربية السلمية، وبقيت على هذا الحال حتى احتلها الفرنجة عام 1099 م كجزء من احتلالهم لفلسطين، ثم استردها صلاح الدين الايوبي مع باقي مدن فلسطين في معركة حطين سنة 1187 م ، ثم خضعت الظاهرية

للاستعمار البريطاني كباقي مدن وقرى فلسطين ضمن فترة الاستعمار البريطاني وكجزء من محاولتهم لاخماد الثورة الفلسطينية بنى الانجليز فيها مركزا عسكريا عام 1942 م,وفيما بعد اصبحت الظاهرية جزءا من المملكة الاردنية الهاشمية تحول ذلك المركز الى نقطة تموين للجيش الاردني ، وبعد الاحتلال الصهيوني للضفة الغربية عام 1967 م قام الجيش الصهيوني بتحويل ذلك المركز الى سجن حيث مارس فيه الاحتلال كافة أنواع التعذيب والتنكيل والقمع، حتى خروجه منه بعد تشكيل السلطة الوطنية الفلسطينية[١٥]. واصبحت تضم عدة مناطق كما في خريطة (٢) .

خريطة (٢) مدينة الظاهرية

ومرت مدينة الظاهرية بعدة مراحل مورفولوجية حسب انظمة الحكم السائدة:

المرحلة الاولى (حتى عام 1920 م) الفترة العثمانية

شكلت البلدة القديمة النواة الاساسية لمدينة الظاهرية، ففيها كانت النشأة الاولى، وقد اعتمد النمو العمراني على العلاقات السرية، فكانت كل عائلة تبني لبنائها مساكن مجاورة لسكنها مكونة ما يعرف بالحوش، وكل مسكن يتكون من طابق أو اثنين وذلك حسب مواد البناء المستخدمة وطريقة البناء، وتأثر البناء في هذه الفترة بالوضع الاجتماعي الذي اعتمد على الترابط العائلي وكذلك اعتماد السكان في حياتهم المعيشية على الزراعة والرعي وتم البناء أيضا بدواعي الامن حيث تقاربت المنازل من بعضها لتوفير الحماية للسكان فضلا عنه ذلك فقد حاول السكان بناء منازلهم بعيدة عن طريق المواصلات الرئيسة، لأسباب أمنية، خاصة وان الطريق التي تعبر المدينة استخدمت خلال الحرب العالمية الاولى ممرا للجيشين العثماني والبريطاني.

المرحلة الثانية (1920 م – 1948م) فترة الاستعمار البريطاني

شكلت هذه الفترة ما يعرف بالتجمع الحضري للمدينة حيث تشكلت النواة الحضرية التي أعطتها شكلها العمراني وقد استفادت البلدة في هذه الفترة من عدة عوامل، وتمكنت من ان تصبح مركزا سكانيا، وعمرانيا، وإداريا، وعسكريا، وزراعيا هاما لأسباب كان من اهمها موقع الظاهرية الجغرافي ما بين مدينة الخليل ومدينة بئر السبع، مما جعلها معبرا رئيسا بين شمال ووسط فلسطين من جهة وجنوب فلسطين من جهة اخرى .كما ساعد استقرار السكان نتيجة تمليكهم الاراضي وقيام كل شخص باستصلاح أرضه وزراعتها الامر الذي دفع الى بناء المدارس والمركز الصحي وتزايد اعداد السكان تدريجيا بعد اشاعة التعليم والوعي الصحي . كما احتل السوق التجاري مركز البلدة القديم وقد بنيت الاحواش السكنية والسوق القديمة بحجارة كلسية احضرت من مقالع الحجارة المحيطة بالمدينة، وكذلك حجارة اعيد استعمالها

احضرت من الخرب المحيطة بالمدينة، وقد استخدم النقاشون الزخرفة في الحجارة مما اعطاها شكلً مميزا [١٦]. يمكن مشاهدة الكثير من عناصر الزخرفة القديمة على حجارة بعض المساكن التي لا زالت قائمة في البلدة القديمة التي تعتبر نواة التشكل الحضري لمدينة الظاهرية التي أخذت تتوسع باتجاه شمالي شرقي إلى جنوبي غربي، وقد تأثر اسلوب بناء هذه البيوت بطبيعة الظاهرية الجبلية، فبنيت بيوت الظاهرية بالحجر من الداخل والخارج، وكانت بعض بيوت الظاهرية كهوفا سويت جدرانها وبني على واجهاتها الامامية مداخل حجر . وقد لوحظ وجود نمطين من البيوت القديمة في الظاهرية، النمط الاول : يتألف اما من غرفة واحدة، امامها ساحة، او من عدة غرف متلاصقة تسكنها عدة اسر تنتمي لعائلة ممتدة واحدة، وتشترك هذه الغرف بساحة واحدة تسمى الحوش، وفي هذا النمط من البيوت كان يتم بناء غرفة او اكثر كطابق ثانٍ وذلك يسمى " العلالي" ، والتي غالبا ما استخدمت للاستقبال، او ما يطلق عليه محليا المضافة. بنيت هذه البيوت على شكل عقود متقاطعة ناشئة من الزوايا لتلتقي في السقف، وامتازت بنوافذها ذات القواس والنوافذ المستطيلة التي يعلوها عقد نصف دائري يبرزعن الواجهة الى الخارج .واحيانا ظهر في أعلى واجهات بعض هذه البيوت فتحات صغيرة كانت تستغل للتهوية والاضاءة .[١٧]

اما النمط الثاني فقد قسم فيه البيت من الداخل الى مستويين حيث استخدم المستوى العلوي سكنا للأسرة، والمستوى السفلي كان يخصص لايواء الحيوانات فداخل البيت بنيت مصطبة من الحجارة والطين ترتفع مترا فأكثر، حيث يعتبرهذا الارتفاع حدا مانعا للحيوانات عن الناس وحاجياتهم، ويصعد إلى المصطبة بدرج حيث يعيش أهل الدار، وعادة يكون هذا الدرج مقابل الباب الرئيس للبيت.

المرحلة الثالثة (1948 م -1967م) الفترة الاردنية

في هذه الفترة خضعت الظاهرية كباقي اجزاء الضفة الغربية للحكم الاردني، واصبحت جزءا من المملكة الاردنية الهاشمية وانتظمت الحياة في المدينة، واصبحت مركزا حضريا يتميز في الخدمات التي يقدمها عن الفترات السابقة كالخدمات التعليمية، والصحية، والمنية .وتوسع سوقها التجاري كما امتدت المدينة افقيا نحو الجوار و حسب ملكية العائلات للأراضي .حيث بدأت الظاهرية خلال هذه الفترة تتوسع باتجاهات مختلفة من البلدة القديمة بالتحديد تجاه شمال وشرق البلدة، وإلى الخرب المجاورة، وذلك حسب تقسيمات الاراضي لكل حمولة وعائلة حيث كانت كل عائلة تبني، وتتوسع باتجاه أراضيها.

امتدت الظاهرية في هذه المرحلة بشكل خطي باتجاه الشمال والجنوب على جانبي الطريق المار منها، والذي يتجه من الخليل باتجاه بئر السبع ، وبعد انضمام الضفة للمملكة الردنية بعد مؤتمر أريحا وتطبيق الانظمة والقوانين الاردنية من خلال المؤسسات والمحاكم والتغير الملحوظ في بعض أنماط الحياة من حيث التعليم والوظائف والعمل والقوانين والمحاكم، وتحسن الوضع الامني شهدت الظاهرية توسعا عمرانيا من حيث عدد المباني السكنية وكذلك الحياء السكنية ، اما من حيث مواد البناء فقد استمر استخدام المواد القديمة في البناء من طين وحجارة الخرب المجاورة، والشيد في البناء في هذه الفترة إلى جانب المواد الجديدة التي دخلت مع بداية الستينات مثل السمنت والحديد، بالاضافة للحجر النظيف الذي كان يستخدمه ميسورو الحال.

المرحلة الرابعة (1967 م –1994م) فترة الاحتلال الصهيوني

خضعت فلسطين بكاملها للاحتلال الصهيوني وقد احدث ذلك تغيرا كبيرا على أنماط حياة الفلسطينيين في كافة الجوانب، فعلى صعيد العمران قامت الصهيونية بتحديد مناطق البناء وفقا للاوامر العسكرية، وليس لمخطط تنظيم العمران، والهدف من ذلك هو خدمة التوسع

الاستعماري الصهيوني على حساب المدن والقرى الفلسطينية وكغيرها من المناطق الفلسطينية فان مدينة الظاهرية نتيجة موقعها أصبحت منطقة عبور للعمال والتجار وغيرهم نحو بئر السبع والنقب؛ لذلك فقد شهدت حركة توسع عمراني، ولكن بصورة عشوائية بسبب القيود الصهيونية مما أنعش الاقتصاد، وأدى الى زيادة عدد سكانها اذ حدث في المدينة خلال هذه الفترة زيادة ملحوظة في الخدمات، وخاصة التعليمية و الصحية .

بقي البناء في الظاهرية محصورا بالقرب من البلدة القديمة، وعلى جانبي الشارع الرئيس من جهتي الغرب والشرق في الفترة السابقة و توسع البناء في بداية هذه المرحلة حول هذه المنطقة، وبعض القرى والخرب المجاورة التابعة للمدينة، ومعظم البناء العمراني كان غير مرخص الا انه امتاز بارتفاع المباني، ومعظمها مبانٍ من الحجارة البيضاء والباطون، والطوب ، واخذت المدينة الشكل الخطي الذي يمتد من الشمال باتجاه الجنوب الغربي، وساعد على ذلك التضاريس الطبيعية بهذا الاتجاه و وجود الشارع الرئيس الذي يقسم المدينة إلى قسمين، وكذلك فرض هذا الواقع العمراني أيضا طبيعة السياسة الصهيونية الاستعمارية التي هدفت في تلك المرحلة إلى حصر البناء في هذه المنطقة .

المرحلة الخامسة (1994 م 2005م) دخول السلطة الوطنية الفلسطينية

شهدت الظاهرية في هذه المرحلة تطورا عمرانيا واسعا من حيث شكل البناء والمواد المستخدمة، حيث تلقت وتداخلت التجمعات السكنية في الظاهرية، والمكونة من (23). تجمعا؛ لتظهر الشكل الحالي للمدينة، أصبحت الظاهرية مدينة فلسطينية محررة، وقام المجلس البلدي بوضع أول مخطط هيكلي احتوى على المناطق السكنية بتصنيفاتها المختلفة، وكذلك حددت المناطق الصناعية والخدماتية والتجارية .ومع تحرر المواطن الفلسطيني من مضايقات الحكم العسكري، فقد شهد قطاع البناء والتوسع الافقي والعمودي نشاطا ملحوظا. اذ نمت في

الظاهرية مراكز وأحياء سكنية حول البلدة القديمة والمركز التجاري، ونمو هذه الاحياء والتقائها مع البلدة القديمة ومركز المدينة، بالإضافة إلى امتداد هذه الاحياء على جانبي الشارع الرئيس للمدينة أسهم في إعطاء الظاهرية شكلها الخطي من الشمال إلى الجنوب حول الشارع الرئيس والشوارع الخرى، التي تم شق وتعبيد أغلبها وبالتحديد التي تم شقها بشكل موازٍ للشارع الرئيس مثل الشارع الذي يقطع المدينة ابتداء من منطقة المرج ودوما في شمال الظاهرية، ومن ثم قنان الغزيلية وواد علي وكرم الشقر، ومن ثم عناب الصغيرة، ليلتقي مع شارع الرماضين في جنوب المدينة .

اما مادة البناء فقد استخدم مواد بناء متنوعة في هذه المرحلة واختلط معظم المباني على الرغم من اختلف موادها، فقدانتشار بناء الحجر بشكل واسع بالتحديد بعد عام 1990 ، ويأتي الباطون والطوب في المرتبة الثانية من حيث الاستخدام في المناطق المحيطة بجدر البلدة القديمة حيث تختلط مباني الطوب والطين مع الحجر، ويأتي في المرتبة الثالثة من حيث الاستخدام الباطون، ومن ثم جدران الحجر والباطون ولكن يلحظ انخفاض نسبة البناء باستخدام الطوب والطين .

الاستنتاجات :

١- اتضح من خلال دراسة مدينتي الناصرية والظاهرية هناك اختلاف فيما بينهما خلال المراحل المورفولوجية المختلفة نظرا لاختلاف طبيعة كل منهما من حيث السطح والمناخ والموارد الاخرى فضلا عن اختلاف الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية لكل منهما .

٢- شهدت المرحلة المورفولوجية الاولى مايلي :

أ- بالنسبة لمدينة الناصرية فان نشاطها زراعي في حين الظاهرية زراعي رعوي نظرا لطبيعة السطح في كل منهما اذ شهدت الاولى ارض رسوبية في حين الاخرى ارضها جبلية .

ب- ظهرت اربعة احياء سكنية في مدينة الناصرية تركزت على الجانب الايسر لنهر الفرات اما الجانب الايمن فتم بناء معسكر فية ، اما مدينة الظاهرية فقد ظهرت على شكل جماعات متقاربة من بعضها وبعيدة عن طرق النقل والمواصلات لحفظ امن سكانها .

ت- شهدت الوحدات السكنية في مدينة الناصرية تلاصق واتصال فيما بينها نظرا للظروف البيئية الحارة وذات مساحة صغيرة وباب منكسر للحفاظ على الخصوصية ووجود ايوان وسط المسكن مع عدم وجود الحديقة بسبب صغر المساحة والبناء التقليدي البسيط ، اما في الظاهرية فقد تعددت طوابق البناء .

ث- مادة البناء المستخدمة في الناصرية هي الطابوق والطين وفتحات في اعلى الجدار ،في حين بنيت الوحدات السكنية في الظاهرية من الحجر .

٣- المرحلة المورفولوجية الثانية تميزت بما يلي :

أ- تحول الاستثمار الى الجانب الايمن من النهر فظهرت خطة جديدة مغايرة لخطة المدينة الاولى في مدينة الناصرية وكذلك الحال بالنسبة لمدينة الظاهرية التي شهدت تشكل النواة الحضرية واصبحت مركز سكاني وعمراني واداري وزراعي بسبب موقعها الجغرافي بين شمال وجنوب فلسطين .

ب- الوحدات السكنية في الظاهرية اتخذت شكلين احدها على شكل كهوف بسبب طبيعتها الجبلية والاخر تقليدي يحتوي على مصطبة في مقدمته من الحجارة والطين وبارتفاع متر ويحتوي على متبن لخزن التبن والاعلاف وكان المسكن يختار في مكان منخفض عند الوادي لسهولة الحركة والوصول .

ت-تطور مادة البناء في الناصرية الى استخدام الحديد والطابوق والجص في حين استخدمت الظاهرية الحجارة في بنائها فضلا عن تزيينها بالزخارف .

٤- المرحلة المورفولوجية الثالثة شهدت :

أ- برامج تنموية ومشاريع اعمارية وبنى تحتية وبناء الجسور مثل جسر النصر وتغيرت خطة المدينة الى الشكل الشعاعي والشبكي في مدينة الناصرية ، في حين اصبحت الظاهرية في هذه المرحلة مركزا حضريا وكثرت الخدمات وامتدت مع الطرق .

ب-اختفت الباحة او الحوش من الوحدة السكنية في مدينة الناصرية وظهرت تصاميم حديثة في الوحدات السكنية التي اتسعت مساحتها وضمت الحدائق ، في حين شهدت الظاهرية انماط متعددة بين القديم والحديث .

ت- تطور مادة البناء (طابوق ،اسمنت ،جص ،ثرمستون) في بناء الناصرية ، اما الظاهرية فاستمر استخدام الحجارة والشيد (الجص) والطين .

٥- المرحلة المورفولوجية الرابعة شهدت :

أ- توسع المدينة مع امتداد الطرق وتطور الصناعات الكبرى مثل محطة كهرباء الناصرية وزادت الهجرة الى المدينة بسبب الحرب العراقية الايرانية ، كذلك شهدت الظاهرية تحسن اقتصادي كبير نتيجة عمل المغتربين وتحويلات العاملين في الخليج العربي وتطور الصناعات الخفيفة نتيجة لتوفر السيولة المالية .

ب-تطور مادة البناء الى طابوق واسمنت وجص في الناصرية بينما استخدمت في الظاهرية الحجارة البيضاء والباطون(الخرسانة) والطوب .

٦- المرحلة المورفولوجية الخامسة شهدت تطورات في المدينتين وظهور الطرز الغربية في البناء واتساع المساحة وارتفاع المباني فاصبح هناك توسع عمودي وافقي رغم تراجع المستوى المعشي لكليهما .

التوصيات :

١- عند بناء المدن وتخطيطها لابد من الاخذ بعين الاعتبار التطورات المستقبلية التي تتعرض لها المدن كونها في حالة تغير مستمر مع الحفاظ على الطابع المحلي .

٢- الاستفادة من تجارب المدن الاخرى في تطور المدينة وتنميتها بما ينسجم مع رغبات السكان وتطلعاتهم .

٣- الحفاظ على والموروث العمراني والعمل على اعادة تاهيله بطريقة تحافظ على الشكل الاساس .

٤- السعي من اجل الحفاظ على البيئة والتخطيط العمراني للمدينة والابتعاد عن الملوثات البصرية والتخطيطية لاسيما بعد انتشار ظاهرة السكن العشوائي ودورها في تشويه البيئة التخطيطية الحضرية .

الهوامش :

(١) رعد عبدالحسين الغريباوي ، الوظيفة السكنية لمدينة الديوانية ، رسالة ماجستير ،جامعة القادسية ،كلية الآداب ، ٢٠٠٢ ، ص٣٣

(٢) تحسين جاسم شنان السهلاني ، الانماط السكنية في مدينة الناصرية ، رسالة ماجستير ،كلية التربية ، جامعة الموصل ،٢٠٠٤ ، ص٦ .

(٣) موفق حامد خضير الحفاظي ، ظاهرة الجزيرة الحرارية في مدينة الناصرية ، رسالة ماجستير ،جامعة ذي قار ،كلية الاداب، ٢٠١٦ ،ص٤ .

(٤) عبد العال وحيد العيساوي ، لواء المنتفق (١٩١٤ ـ ١٩٢١) ، دراسة في أحوال الإدارة و السياسة والاجتماعية والاقتصادية ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ١٩٩٩ ، ص١٧.

(٥) تحسين جاسم شنان السهلاني ، تحليل كفاءة الخدمات التعليمية والصحية والترفيهية في مدينة الناصرية ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية ، جامعة البصرة ، ٢٠١٠ ، ص٣٣.

(٦) عادل مكي عطية الحجامي ، المركز التجاري لمدينة الناصرية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٥ ، ص١٤ .

١- تحسين جاسم شنان السهلاني ، الانماط السكنية في مدينة الناصرية ، رسالة ماجستير ،كلية التربية ، جامعة الموصل ،٢٠٠٤ ، ص ١٧ .

(٧) سميع جلاب منسي السهلاني ، تحليل جغرافي للحراك السكني في مدينة الناصرية للمده(١٩٩٧-٢٠٠٧) ، رسالة ماجستير ،جامعة البصرة، كلية الاداب ، ٢٠٠٩ ،ص ٢١

(٨) جبر جودة عطية ، الوظيفة السكنية لمدينة الكوت ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٩ ، ص ٨٠ .

(٩) تحسين جاسم شنان السهلاني ، الانماط السكنية في مدينة الناصرية ، مصدر سابق ،ص ٣٠ .

(١٠) سميع جلاب منسي السهلاني ،مصدر سابق ،ص ٢٧ .

(١١) قاسم الربداوي ، مشكلة التوسع العمراني المساحي ، حول المدن السورية و علاجها ، مجلة جامعة دمشق للآداب و العلوم الإنسانية ، العدد (٣+٤) ، مجلد (٢٢) ، ٢٠٠٦ ، ص ٢٧٥ .

(١٢) إسماعيل حسان إبراهيم رباع، تخطيط وإعادة تأهيل الوسط التاريخ(البلدة القديمة (في الظاهرية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح، نابلس، فلسطي، ٢٠٠٤،ص٤٥ .

(١٣) امنه أبوحجر ، موسوعة المدن والقرى الفلسطينية، الجزء الاول، دار أسامة للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، عمان، الاردن ،٢٠٠٤ ، ص٥٥ .

(١٤) احمد اسماعيل خليل ابوعلان ، التطور الحضري والتركيب الداخلي لمدينة الظاهرية في فلسطين ، رسالة ماجستير ،كلية الدراسات العليا ، فلسطين ، ٢٠٠٧، ص٢٥ .

(١٥) شكري عراف، القرية الفلسطينية " مبنى استعمالات أراض" ، جمعية الدراسات العربية، الطبعة الثانية، القدس، فلسطين ،١٩٨٦ ، ص١٣٩ .

(١٦) احمد اسماعيل خليل ابوعلان ،مصدر سابق ، ص٣٩ .

(١٧) المصدر نفسه ، ص٤٥ .